الطريق إلى الخفاء

الجزء الأول

علا مصطفى

الطريق الى الخفاء

الجزء الاول

علا مصطفى

"اسوأ العذاب ، هو أن تشك في عقلك"

إدغار آلان بو

(١)

"لا أعلم يا زين، منذ متى بدأت معاناتي هذه، كل ما أعلمه هو أنني أرغب بشدة الآن في الانتقال إلى العالم الآخر. أعلم أنني عانيت بما يكفي، وأن الله غفور رحيم. أكتب لك هذه الرسالة لأنني لا أرغب بأن تحزن عليّ كثيرًا. سأنتقل إلى عالم أفضل، لن أنسى أبدًا جهودك كي تحسن من حالي، لكن لا يمكن لكل العالم أن يصبح مثلك، وليس بمقدورك أنت أن تصلح ما أفسده الجميع. أرجو أن تغفر لي وتسامحني.

Your Lovely Sis Dina"

كانت هذه الرسالة هي أول شيء عثر عليه زين عند وصوله لمنزلهم، وعند قراءته للرسالة، في بادئ الأمر،

ظن أنها مزحة، لكن رائحة الدم النفّاذة زكمت أنفه، وصُعق من المنظر الذي وجده أمامه. وجد دينا، أخته، تسبح في بركة من دمائها. أُصيب بنوبة من الهلع، وظل يصرخ وينادي باسمها:

"دينا، أرجوكِ لا تموتي، أرجوكِ لا تفعلي بي هذا. أعدك أن كل شيء سيصبح أفضل، أعدك أن كل من آذاكِ سيطاله الأذى، لكن أرجوكِ، لا تتركيني... أرجوكِ تماسكي قليلاً."

ظل زين يصرخ ويحاول إيقاظ أخته، لكنه فشل في ذلك. اتصل بالإسعاف، وظل يهمس في أذن أخته بوعود كثيرة، ويعبّر لها عن مدى حبه لها، وعن مدى أسفه على كل الأذى الذي طالها، وأنه سيقتص لها منهم جميعًا. كان خائفًا جدًا عليها، وخوفه سيطر عليه لدرجة

أنه لم يستطع التركيز على الخنجر الصغير ذو النقوش الغريبة، الذي قامت بغرسه في قلبها.

بعد خروج دينا من العملية، التي استغرقت مدة زمنية طويلة جدًا، وأخبره الطبيب أن الخطر على حياتها قد زال، كان زين غاضبًا منها بشدة، لكن لأنه يعلم ما تمر به أخته، لم يشأ أن يوبخها على فعلتها. ودار بينهم الحوار التالي:

زين: كيف تشعرين الآن؟

دينا: بخير... أعلم أنك غاضب مني، لكن أقسم لك أنني لم أُرِد أن يحدث هذا.

زين: أنا أعلم أن الظروف التي تمرين بها هي التي تدفعك لفعل هذا، لكن عِديني بألا تعاودي الكرّة.

دينا: لماذا جميعكم لا تصدقون أنني لم أقم بإيذاء نفسي؟!

زين: أنا آسف، لم أرد إغضابك.

دينا: أريد أن أنام.

زين: حسنًا، سأتركك. إذا أردتِ أي شيء، أنا بالخارج.

خرج زين من غرفة دينا وذهب لرؤية الطبيب المشرف على حالتها، وقال:

"كيف هي حالتها يا دكتور؟!"

أجابه الطبيب قائلًا:

“تخطّت مرحلة الخطر، لكن لا يمكنني أن أجزم لك بأنها لن تحاول مجددًا إيذاء نفسها.”

زين: سأحرص على ألا أتركها وحدها، وأن تذهب لمقابلة طبيب نفسي.

تنهد الطبيب وقال:

“اسمع يا زين، إن أختك تعاني من الذُهان. يجب

عليك الإسراع قبل أن تتطور حالتها.”

زين (مندهشًا): ماذا؟ ما هو الذُهان؟!

الطبيب: مرض نفسي يجعلها تتوهم أن هناك من يحاول إيذاءها وإلحاق الأذى بها، وترى أشياء ليست موجودة.

زين: لكن دينا لم تخبرني من قبل بأشياء مثل هذه أبدًا! هي فقط تعرضت مؤخرًا لضغوطات كثيرة سببت لها اكتئابًا، وأعتقد أن هذا هو ما جعلها تحاول الانتحار.

الطبيب: الذُهان من مسبباته الاكتئاب الحاد، والاختصاصي النفسي شخص هذا الأمر، وهي تنفي تمامًا محاولتها للانتحار، وتُصرّ على أنها لم تحاول إيذاء نفسها، وإنما شخص آخر دفعها لفعل هذا. وعندما

تحققنا من الأمر، وجدنا عدة أشياء تشير إلى أنه لم يقترب منها أحد، وأنها هي من حاولت قتل نفسها.

زين: حسنًا، ما الذي يمكن أن أفعله حتى تتحسن حالتها؟! أنا مستعد لفعل أي شيء من أجلها.

الطبيب: يجب عليك أخذها إلى مصح نفسي حتى تتلقى العلاج المناسب.

زين: حسنًا، أشكرك.

بعد أن أكمل زين محادثته مع الطبيب، ظل يؤنب نفسه على الحادثة التي وقعت لأخته، وقال:

"كل ما يحدث في حياتها أنا المتسبب به. تبا، لو كنت موجودًا منذ بداية معاناتها، لما حدث كل هذا" .

(٢)

دخل زين لأخته في الغرفة ليطمئن على حالتها، وأصاب منظر الأسلاك المعلّقة حولها الحزن في قلبه، لكنه حاول مداراة كل هذا وقال لها بصوت يحاول جعله مرحا :

"مرحبًا صغيرتي، هل تحتاجين شيئًا؟"

ردت عليه دينا بفتور قائلة:

"ألم تذهب للمنزل بعد؟!"

ثم زفرت وقالت:

"عد إلى المنزل، أنا لن أرتكب حماقة أخرى، لست بحاجة لحارس آخر."

رد عليها زين بصوت يملؤه العطف والحنان:

"كيف يمكنني الذهاب وترك صغيرتي وحدها؟"

"أنت هنا لأن الطبيب أخبرك بأنني مجنونة، جميعكم تظنون ذلك، لا أحد يصدقني. لكن أقسم لك أنني لم أؤذِ نفسي."

رد زين غاضبًا وقال:

"من يمكنه أن يتجرأ وينعتك بالمجنونة! لم يقل أي شخص بأنك مجنونة، ولا يستطيع أحد قول ذلك. أنا هنا لأنني أخاف عليك، وأريد البقاء بقربك حتى أطمئن عليك."

شعرت دينا بالأسف على ما قالته، وتنهدت ثم قالت:

"أنا آسفة... لكن أقسم أنني لم أفعل هذا." (بعد هذهالجملة أجهشت بالبكاء)

تحرّك زين من مكانه واحتضن صغيرته وقال لها:

"حسنًا، لا تبكي. أخبريني بما حدث، أود سماع القصة منك."

ثم أردف مسرعًا قائلًا:

"لكن إذا كان الأمر يُرهقك، فدعينا نؤجل النقاش إلى وقت آخر."

ردت دينا بعجلة، وكأنها تخاف أن يغير رأيه، وقالت:

"لا، لا، سأخبرك الآن، يكفي ما عانيته."

أجابها، وقد لاحت ابتسامة النصر على شفتيه:

"حسنًا، كلي آذان صاغية."

بعد لحظة من الصمت، بدأت دينا تحكي " استيقظت ليلًا كي أشرب بعض الماء، فوجدت أضواء المنزل جميعها مضاءة. ظننت أنك عدت إلى المنزل، لكن لم أجدك في غرفتك. أطفأت الأضواء، وأخذت كوب الماء، وعدت إلى غرفتي. بعدها لم أتمكن من النوم، ظللت مستيقظة حتى قبيل الفجر، وفي أثناء تفكيري ومحاولاتي للعثور على حل لإصلاح حياتي البائسة هذه، شعرت بحركة أقدام في الصالة، وللمرة الثانية ظننتك عدت، وخرجت لاستقبالك. وعندما خرجت، رأيت شخصًا يتوشّح السواد... صرخت، وحاولت الركض إلى الداخل للاتصال بك، لكن فجأة

تجمدت مكاني، ولم تقوَ قدماي على حملي، وسقطت على الأرض، ولم أتمكن من الحراك بعدها..."

شعر زين بحزن عميق يعتصر قلبه لما اصاب اخته و شعر بغصة في حلقه ولكنه حاول ان يبدو ثابتا امامها و اخفى مشاعره حتى لا يشعرها بضعفها و قال لها

"حسنًا، أكملي. ماذا حدث بعد سقوطك؟! هل أجبرك على كتابة رسالة انتحار؟!"

"لا، لم يفعل ذلك، ولم أكتب أي شيء أنا."

"حسنًا، ماذا حدث؟ وما سر تلك الرسالة؟!"

"بعد سقوطي على الأرض، الشبح الأسود لحق بي، وجثم على صدري كالصخرة. حاولت الصراخ، ولكن لم يخرج صوتي، وكأن حبالي الصوتية توقفت عن العمل. حاولت كثيرًا إخراج صوت من فمي، ولكن

بلا فائدة... بعدها تحدث ذاك الشخص الملثم، وكان صوته كالفحيح ومثير للرعب، قائلًا إنه يريد ما بداخلي كي يسمو. لم أستطع الإفلات من قبضته، وقام بطعني بذلك الخنجر الذي وجدته."

"إذًا، هذه محاولة اغتيال! لماذا لم تخبري الشرطة والطبيب بذلك؟! وما سر تلك الرسالة؟!"

"لا أعلم أنا أيضًا، لكنني لم أقم بكتابتها أبدًا، وهذا الأمر يُرعبني."

"دينا، الخط الذي بالرسالة هو خطك، لا يستطيع أحد أن يقلده بتلك الجودة. وإذا افترضنا أن أحدًا ما قام بتقليد خطك، فمن يعلم بمعاناتك؟! ولماذا قام بتوجيهها لي أنا بالتحديد دون باقي أفراد الأسرة؟! لا أعتقد أن

أحدًا في هذا الحي، أو في هذه المدينة كلها، يعلم بخلافك مع والدي وأخواتي، صحيح؟!"

"نعم، ما تقوله صحيح، وأمر الرسالة هذه أصابني أنا أيضًا بالذعر. لا أعلم كيف حدث هذا، لكن أقسم لك أنني أقول الحقيقة."

"حسنًا، حسنًا، لا تبتئسي، سننتقل من المنزل، وسنجد حلًا لكل شيء، فقط استرخي."

في اليوم التالي، خرج زين من المشفى خرج زين حزينًا مهمومًا، لا يعلم إلى أين يتجه أو إلى من يلجأ، وأصبح في حيرة من أمره، لا يعلم ما إذا كانت دينا حقًا تعرضت لحادث غريب، أم أنها أُصيبت بالذُهان وأصبحت تتوهم أشياء.

بعد دقائق من التجوّل بلا هدف، رنّ هاتفه

اتصل هاتفه، وكان المتصل صديقه سليم.

رد قائلًا:

"مرحبًا سليم، كيف حالك؟"

أجابه سليم بلهفة قائلًا:

"أين أنت يا زين؟ لماذا لا ترد على هاتفك؟ حاولت الاتصال بك كثيرًا، لكنك لا تجيب!"

أجابه زين بصوت متعب:

"نعم، كان يومي حافلًا، لم أنتبه لهاتفي، أعتذر."

أردف سليم قائلًا:

"ماذا أصابك يا زين؟ هل أنت بخير؟!"

"أنا بخير، ولكن دينا تعرضت لحادث مفجع، لذا لم أستطع الحضور ولا الاتصال، نسيت تمامًا أمر العمل."

رد سليم بصوت يملؤه الخوف وقال له:

‘‘ماذا أصابها؟! وهل هي بخير؟! وفي أي مشفى أنتم الآن؟!’’

واندفع يلاحقه بسيل من الأسئلة، إلى أن أصمته زين قائلًا:

‘‘سليم، ما بك؟! نحن بخير الآن، لم أعهدك تجزع هكذا، ماذا أصابك الآن؟!’’

تمتم سليم قائلًا:

‘‘أ... أ... لا شيء، لا شيء، فقط قلقت عليكما. متى ستعودون إلى المنزل؟’’

‘‘حالَتها الآن مستقرة.’’ ثم تنهد وقال:

‘‘لكن يجب أن تظل تحت المراقبة لمدة يومين، ومن ثم سننظر في الأمر.’’

‘‘ما الذي يحدث يا زين؟’’

"إنها قصة طويلة، حين نلتقي سأرويها لك. دعني الآن، لأنني لا أستطيع الحديث."

"حسنًا، غدًا سأزورك بعد الدوام."

"حسنًا."

بعد إغلاق الهاتف، وبينما كان زين يتمشى بشرودانعكست إحدى الأضواء على قلادة ملقاة في الأرض، كانت القلادة ذات نقوش غريبة، وتحمل أحرفًا بلغة هجينة، وحين فتحها من الداخل وجد صورة له هو ودينا.

بعد عثوره على القلادة، بدأ يشعر بالخوف والقلق من أن ما حدث لأخته لم يكن مجرد محاولة انتحار، وإنما يوجد حقًا من يتربص بهم ويحاول إلحاق الأذى بهم.

لم يُخبر دينا لأنه لا يريد إفزاعها وإثارة الرعب في قلبها، فآثر الصمت، وقرّر أن يبحث في الأمر بنفسه، أملًا أن يجد تفسيرًا لما يحدث حوله.

لفتت انتباهه تلك النقوش الغريبة التي على القلادة، فصار يبحث عن نوع القلادة بواسطة تلك النقوش، لعله يصل لشيء عن طريقها.

حاول الاتصال بسليم، على أمل أن يُعينه في بحثه، لكنه لم يُجب عليه.

التقط صورة للقلادة، وبحث عنها على محرّك البحث، ولكن لم يجنِ من بحثه شيئًا سوى الخوف.

لاحقًا في تلك الليلة قرر البحث عنها في منتديات محبي مقتنيات الأشياء الغريبة، فوجد مجموعة من القلادات التي تُحاكي قلادته في الشكل، لكن لا تحتوي

على صور لأشخاص، فقرّر نشر صورة القلادة وانتظار من يجيب على تساؤلاته.

بعد دقائق من نشر الصورة قام شخص ما بالرد على منشور زين بكلام مريب، نصّه كالآتي:

"إذا أردت أن تسلم من شر هذه القلادة، لا تتخلص منها بطريقة خاطئة، فإنها خطرة جدًا، وبمقدورها قلب حياتك رأسًا على عقب."

أُصيب زين بالهلع، ولم يستطع عقله استيعاب كل هذا الكم من الصدمات، فقرّر التوقف عن البحث والتفكير، وإراحة عقله حتى يأتي سليم ويُخبره بما حدث ويستعين به.

بعد مرور مدة لا يعلم قدرهاخرج من شروده بصوت سليم، الذي كان يسلّم عليه.

بعد أن حياه وسأله عن حالة دينا، قال له:

"أخبرني، ما الذي يحدث؟"

بدأ زين يسرد لسليم كل ما حدث معهم، منذ عثوره على دينا تسبح في بركة دمائها، إلى تعليق الرجل على القلادة .

(٣)

في المشفى، كانت دينا تطلب من الجميع تصديقها، ولكن لا يمكن لأحد أن يصدق ما حدث معها.

وحين دخلت عليها الممرضة، سألتها قائلة:

ـ متى يمكنني المغادرة من هنا؟

= نحن نعتذر، لكن لا يمكننا إخراجك قبل أن نتأكد من سلامتك.

ـ أنا لست مجنونة، ولم أحاول الانتحار. لا أحد يشعر بي، ولا أحد يريد تصديقي! إذا أردتم سلامتي، أخرجوني من هنا فقط، هذا كل ما أريده.

= أنتِ لستِ مجنونة يا آنسة، لكنك تعانين من قليل من الاضطرابات تدفعك إلى فعل ما فعلته.

ـــ أقسم لكِ يا دكتورة، أنني لم أفعل شيئًا! أنا سليمة ولا أعاني من أي اضطرابات، أنتم تتوهمون!

= أعتذر يا آنسة، سننظر في الأمر.

ـــ إذا لم تخرجوني من هنا في أقرب وقت، سأقتل نفسي!

= اهدئي يا آنسة، أرجوكِ، وكل ما تريدينه سيحدث.

بدأت دينا تبكي بطريقة هستيرية وتصرخ.

خرجت الممرضه مسرعة و طلبت الطبيب ، وقامو باعطائها ابرة مهدئه

(٤)

في مدينة تدعى "فيرن"، كان يسكن هناك أختان اشتهرتا بجمالهما.

كانتا تعملان في مقهى صغير ورثتاه من والديهما.

اشتهر قديمًا المقهى بوجود عرّافة لم تفشل تنبؤاتها أبدًا.

كانت والدتهما من أمهر قارئي الكف والفنجان وأوراق التاروت، وكان معظم مرتادي المقهى من العشاق الحالمين، أو أصحاب النفوذ الذين يؤمنون بهذه الأشياء ويريدون عقد صفقات كبيرة.

بعد وفاة والدتهم، قلّ مرتادو المقهى، وتبدلت الأحوال.

كانت ماري تبلغ من العمر 22 عامًا، وهي التي تحملت مسؤولية المقهى وتدبير شؤون المنزل منذ وفاة والديهما، وتحملت مسؤولية أختها رينا المدللة، التي تصغرها بعامين.

ندهت ماري لرينا كي ترى من يطرق الباب في هذه الساعة من الصباح الباكر، لكن رينا، كالعادة، تذمرت ورفضت القيام بأبسط الأشياء.

فذهبت ماري، ووجدت الطارق هو موظف البنك، يحمل لهم إنذارًا كي يبلغهم عن اقتراب انقضاء المهلة لسداد الدين، وأن البنك سيصادر كل أملاكهم عند انقضاء المهلة.

صُعقت ماري من الخبر، وبعد ذهاب الموظف بدأت تبكي بشدة، وشعرت بالرعب؛ لأنها لن تستطيع سداد الدين خلال أسبوع واحد.

وخرجت رينا من غرفتها، وصُدمت بدموع أختها، التي لم ترها منذ وفاة والديهم، بالرغم من جميع المشقات والمعاناة التي قاسوها.

فقامت رينا باحتضانها ومحاولة تهدئتها، ثم قالت لها:

– ماري! ماذا أصابك؟ لماذا تبكين هكذا؟

أجابتها ماري وهي تنشج

– سنخسر المنزل والمقهى، هما آخر شيء ظلّ لنا من أمي وأبي، ومصدر رزقنا الوحيد!

ماذا سنفعل؟ كيف سندير شؤوننا؟ من أين سنسد فواتير الكهرباء والغاز والطعام وكل هذه الأشياء؟

أين سنعيش؟ لا أعلم ماذا سيحل بنا!

قالت رينا: حسنًا، لا تبكي هكذا، وحاولت تهدئتها، وقالت لها: كل شيء سيكون بخير، لكن منذ متى ونحن مديونون للبنك؟

هل أخذتِ قرضًا بعد وفاة والديّ، أم ماذا؟!

أجابتها ماري: لا، أبدًا، أبدًا!

لكن... بعد وفاة والدي، حين ذهبت لأخذ مدخرات والديّ، تم إخطارِي بهذا الأمر، ولم أعلم لماذا استدان والدي هذا المبلغ.

سأذهب لأحاول تمديد فترة السداد.

أجابتها رينا: دعي الأمر لي، سأذهب في طريقي إلى الجامعة، لا تقلقي.

ردت ماري: هل يمكنكِ ذلك حقًا؟

رينا: نعم، نعم، لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يُرام، فقط استريحي وواصلي عملك المعتاد.

تصرف رينا في هذا الموقف أثار تعجب ماري، لكنها لم تقل شيئًا.

في المساء، حين اجتمعتا لتناول العشاء، أخبرت رينا ماري بأنها قامت بتمديد فترة السداد لمدة شهرين.

وبعد ذلك صمتت، ترددت في بادئ الأمر لتخبرها بما فعلته، لكنها امتنعت عن ذلك، وكان الصمت يسود

الأجواء، لكن فجأة صدر دويّ عالٍ من جهة غرفة المعيشة، أصاب الأختين بالذعر.

أسرعتا إلى غرفة المعيشة لِتريا ما هذا الشيء الذي سقط، فتفاجأتا بوجود كتاب سميك، تتخطى صفحاته الألف، مُغلف بجلد بني، ويحتوي على نقوش غريبة.

كان شكله يثير الرعب، إذ إن غلافه يوحي لك بأنه جلد بشري، وتشعر بشعور غريب، ويقشعر بدنك حين تراه.

وكانت توجد به دائرة كبيرة مغلقة، بداخلها دائرة غير مكتملة تصغرها، لها فتحة جانبية.

وداخلها دائرة غير مكتملة أخرى، فتحتها تعاكس اتجاه الأولى، وتوسطهم نجمة خماسية.

وعلى جوانب النجمة نُقشت حروف هيروغليفية، لم يفهموا منها شيئًا، حتى اسم الكتاب كان باللغة الهيروغليفية، لذا لم يتمكنوا من قراءته:

הדרך לַחֹשֶׁךְ

زُعرت ماري، ولكن رينا حملت الكتاب وكأنها كانت تتوقع العثور عليه هنا، وتمتمت قائلة:

– إذًا، هكذا سيصلني! لم أظن أنهم بارعون إلى هذا الحد...

انتهرتها ماري قائلة:

– عن ماذا تتحدثين؟ من هم "البارعون"؟ وما هذا الكتاب؟ وكيف وصل إلى هنا؟!

تلعثمت رينا، وقالت: لا، لا، لا أحد... أعتقد أنني بدأت أَهذي من الصدمة.

لكن لم تنطلِ خدعتها على ماري، وأصرت عليها لتعرف ما تُخفيه.

فأجابتها قائلة: أعدك أنني سأخبرك بكل شيء في الوقت المناسب.

ثم حملت الكتاب، ودخلت غرفتها، وتركت ماري في حيرة من أمرها.

في اليوم التالي، خرجت رينا مبكرًا دون أن تقابل ماري، وكانت متوجهة إلى مقهى صغير يُدعى "Sweet Corner".

وعند وصولها، وجدت أن المكان لا يمت لاسمه بأي شكل من الأشكال.

كان المكان كئيبًا وقذرًا، يحتوي على عدد من الطاولات المهترئة، وكانت جدرانه قديمة، وتفوح من المكان رائحة أنفاس كريهة، مختلطة برائحة السجائر والقهوة . أصابتها هذه الرائحة بالغثيان.

وفي إحدى زوايا المقهى، كانت توجد مجموعة من الرجال، وكان يبدو من هيئتهم أنهم قضوا الليلة في الشرب.

في بادئ الأمر، ترددت رينا في الدخول، ولكن حين تذكرت الديون التي تثقلهم، أُجبرت على الدخول.

بدخولها، جذبت كل الأنظار؛ فهي فتاة ذات ملامح حادة، وشعر بندقي اللون، مثل لون عينيها، وكانت ترتدي قميصًا أبيض به ورود صغيرة باللون الزهري، وعقدت شعرها في شكل ذيل حصان، وارتدت بنطالًا من الجينز الأزرق، وكانت رائحة عطرها تفوح في المكان.

بالرغم من صغر سنها، إلا أنها كانت تتصرف وكأنها امرأة ثلاثينية.

دخلت رينا إلى المقهى، وجلست على الطاولة رقم سبعة، كما قيل لها، وحين جاء النادل، أخبرته أنها تريد مقابلة رئيسه.

فقال لها: إذا أنتِ هي المنتظَرة، لحظات وسيأتي إليكِ الماستر.

وفي أثناء انتظارها للماستر، بدأت تسترجع الأحداث، وكيف أن حياتها انقلبت رأسًا على عقب، من اليوم الذي أخبرتها فيه أمها بسرّهم الصغير.

قالت لها إنهم ينحدرون من عائلة اشتهرت بقراءة الأبراج وعلوم الفلك والتنبؤ، وكل منهم لديه طاقة وقدرة تميّزه، ولكن ماري لم ترث شيئًا من هذه الموهبة.

طلبت منها أمها أن تتوخى الحذر، ولكن رينا لم تجد وقتها أهمية لما أخبرتها به أمها.

بدأت رينا تشعر بأنها ليست مثل باقي قريناتها، عند بلوغها عامها الحادي عشر، حين واتتها رؤية عن هروب أرنبها الصغير، وموته بشاحنة كبيرة أثناء عبوره للطريق.

وبالفعل، تحققت رؤياها.

ظنت أن الأمر مجرد صدفة، ولكن حين تكرر الأمر، وتنبأت بسقوط إحدى زميلاتها من أعلى السلم وإصابتها في ساقها، وحدث ما تنبأت به، علمت أمها أنها ورثت موهبتها.

في بادئ الأمر، ظن جميع من بالمدرسة أنها دبّرت مكيدة لصديقتها، ولكن حين تكررت الأحداث، وأصبحت تتنبأ بما سيحدث لأي شخص تراه، بدأ

البعض يهابها، والبعض الآخر أصبح يتقرب منها، حتى تخبرهم بما سيحدث في مستقبلهم.

ولكن والدتها لم يُعجبها الأمر، وطلبت منها التوقف، وأذعنت رينا لرغبتها وتوقفت.

أخرجها من شرودها صوت غليظ يقول:

– آنسة رينا، مرحبًا بكِ. ظننت أنكِ لن تأتي، بعد ما قلته البارحة.

(ضحك بسخرية)

أجابته ببرود واستعلاء، قائلة:

– لقد أتيت فقط؛ لأنك برهنت لي قدراتك.

وأريد تسديد ديوني، وأيضًا... أريد معرفة ماهيّة هذا الكتابً.؛ واخرجت الكتاب ذو الغلاف البني المريب ، ووضعته على المنضده .

(٥)

أخبر زين سليم بكل ما حدث، صُعق سليم من كمّ الأحداث الهائل الذي حدث خلال يومين فقط، فسأل زين قائلًا: أنا لم أسألك من قبل عن سبب مجيئكم إلى فيرن، أين أسرتك؟!

تنهد زين وقال: نحن أسرة كبيرة، أربعة إخوة وخمس أخوات، نَقطن في مدينة ميرزا التي تقع جنوبًا، لكن انتقلنا أنا ودينا إلى هنا بسبب خلاف نشب بين والدي ودينا، ومن يومها لم نسمع أي خبر عنهم.

قال سليم بتعجب: لا أريد التطفل، ولكن ما نوع الخلاف الذي يجعل أبًا يتخلى عن ابنته وابنه؟! لماذا لم يسأل عنكم أي أحد أبدًا؟! بالإضافة إلى أن كل الغرباء الذين يقصدون فيرن هم من ذوي القدرات الغريبة

ويريدون تحرير طاقاتهم أو اكتساب المزيد من الطاقة، لقد ظن الجميع في بادئ الأمر أنك منهم، لكن بعد ذلك تأكدنا أنك طبيعي مثلنا.

ارتبك زين وتلعثم في الإجابة، وقال: م...م...ماذا؟ لماذا ظننتم ذلك؟ نحن لجأنا إلى فيرن لأن أحد الأصدقاء دلني على طبيب جيد هنا، وأخبرني أن المنطقة هنا رائعة. كما تعلم، فإن دينا مصابة بالاكتئاب، وحاولت كثيرًا أن تؤذي حالها، لذا ظننت أن المناخ هنا والطبيعة الخلابة ستروح عنها.

تمتم سليم بصوت ضعيف قائلًا: لا يوجد سوى المشعوذين هنا.

لكن كلماته لم تصل لأذن زين، بعد ذلك قال لزين: هيا بنا لصديقي كي يفتينا في أمر هذه القلادة العجيبة.

توجه سليم وزين إلى منزل فودو، وكان فودو ساحرًا إفريقيًا اشتهر بقوة أسحاره وطلاسمه، وكان من المشعوذين المعروفين في مدينة فيرن.

عند وصولهم إلى منزل الساحر، تردد زين في الدخول وقال لسليم: هل أنت متأكد من هذا؟ لا يبدو لي شخصًا موثوقًا.

أجابه سليم: لا تخف، فودو مسالم جدًا، هو يعالج كل المشاكل المريبة التي تشبه حالتك هذه، ولم يفشل أبدًا من قبل.

أجابه زين: حسنًا، سأجاريك، لكن قلبي ليس مطمئنًا.

دخلا الاثنان إلى منزل فودو، الذي رحب بهما وسأل سليم عن حاله وحال أهله، وبعد ذلك سألهما عن سبب زيارتهما له.

بدأ زين بسرد كل ما حدث مرة أخرى لفودو دون أن يتخطى أي تفصيلة، وبعد انتهائه أعطى فودو القلادة كي يراها.

تعجب فودو من الأمر، وسأل زين: هل أحدكما يمتلك قدرات خاصة؟

رد زين بخوف قائلًا: لا، لا أعتقد ذلك، لماذا؟!

أجاب فودو قائلًا: هذه النقوش تنتمي إلى جماعة "النوار"، وهم لا يسعون إلا وراء شخص ذو قدرات خاصة مثل التنبؤ، وقراءة الأفكار، والتحول، وغيرها من هذه الأشياء.

رد زين بدهشة قائلًا: لا أعلم عن ماذا تتحدث، ولكن لا أنا ولا دينا لنا علاقة بهذه الأشياء.

نظر فودو لزين بحدة وقال له: لماذا أتيتم إلى فيرن بالتحديد بالرغم من أنها مدينة صغيرة وخدماتها قليلة؟!

فأجابه زين بنفس الإجابة التي أخبرها لسليم.

فقال له فودو: لا أعتقد أن هذا هو السبب، وإذا كنت تريد مني أن أساعدك، يجب عليك أن تخبرني بالحقيقة كاملة.

تدخل سليم قائلًا: لقد كنت أشك في أمرهم مثلك تمامًا، ولكن بعد ذلك علمت أنهم لا يمتلكون أيّ قدرات، لا أعلم ماذا تريد الجماعة التي ذكرتها منهم.

قال لهم فودو: حسنًا، مروا عليّ غدًا حتى أجد لكم حلًا لأمر هذه القلادة.

عند خروجهم، تنهد زين وقال لسليم: لا أعلم لماذا دلني صديق والدي لهذا المكان، بدأت أظن أنها بلدة مريبة.

تعجب سليم وقال له: لا أعلم، ربما لم يكن يعلم.

بعدها، بدأ زين يسرد لسليم ما حدث ليلة خروجهم من ميرزا، وقال: نحن لا نعلم سبب كره والدي لدينا أبدًا، ولكن أعتقد أنه يمقتها لأن والدتي توفيت أثناء ولادتها، وهو يظن أنها السبب، لكن لم أفكر أبدًا أنه سيتخلى عنها.

إن دينا تتوهم كثيرًا، وهذا ما كان يزعج والدي، وفي ذات مرة طلبت منه ألا يخرج لأن مكروهًا ما سيصيبه، ولكن والدي لم يُعر كلامها أدنى اهتمام، وعند خروجه للسوق انفجر أحد المحلات وأُصيب والدي إصابة بالغة،

وحين تماثل للشفاء صبّ جام غضبه على دينا، وقال إنها "فأل نحس" مثل والدتها، وستجلب له المتاعب، وقام بطردها من المنزل.

كنت قد عدتُ لتوي إلى البلاد أحمل شهادتي، وكان والدي فخورًا جدًا بي، وحين قام بطرد دينا من المنزل، لم يجادله أيّ أحد من إخوتي، فجميعهم يهابونه بشدة.

لقد كان والدي شخصًا ذو نفوذ وسلطة، وبإمكانه تدمير كل حياتك إذا أراد، لكنني تجاهلت كل ذلك، وعارضته في قراره، وطلبت منه أن يتركها في المنزل، لكنه لم يوافق، فأخبرته أنه إذا قام بطرد دينا من المنزل، سأذهب أنا أيضًا معها.

كنت أظن أنه سيتراجع عن قراره، ولكن بدلًا من ذلك صاح قائلًا: ليُصغِ إليّ الجميع، هذه الفتاة لم تعد

ابنتي، إنها فأل شؤم علينا جميعًا، ومن يساعدها سيصبح ميتًا بالنسبة لي.

بعد ذلك، خرجنا أنا ودينا من المنزل، وقضينا ليلتنا مع أحد أصدقائه، الذي قدّم لنا المساعدة دون علم والدي، ودلّنا على هذه المدينة.

أعتقد أن ما قاسته دينا منذ صغرها هو الذي سبب لها الاكتئاب.

رد سليم على زين قائلًا: أنا آسف لما أصابكم، أعلم أنك حزين للغاية بسبب ما فعله والدكم بكم.

لقد أحسن ذاك الرجل بدلكم على فيرن، فلا بد من أنه علم بقدرات دينا، وأراد مساعدتكم في اكتشافها والتحكم فيها هنا.

صاح زين في وجه سليم وقال له: لا تتفوه بالهراء، فدينا طبيعية، ولا تعاني من أي أمر خارق، كل ما في الأمر أنها مصابة بالاكتئاب.

رد سليم قائلًا: أعتذر على ما قلته، لا تغضب.

بعدها أردف قائلًا: لقد تأخر الوقت، يجب أن أعود إلى المنزل.

قال زين: أنا أيضًا، يجب أن أعود لأطمئن على دينا.

(٦)

سألت رينا بنبرة حادة الماستر عن ماهية هذا الكتاب، فنظر لها بدهشة، وقال: لا تخبريني بأن والدتك لم تخبرك عن هذا الكتاب؟!

أجابت عليه باقتضاب قائلة: والدتي لا تخبرني بأي شيء، ولم يخبرني أيٌّ منهما عن رحلاتهم التي ذكرتها البارحة، ولا بحوثهم التي كانوا يجرونها. كل ما أعلمه أنني أُجيد التنبؤ، وأن علي الحذر من هذه الملكة.

رد عليها الماستر بتعجب قائلًا: ومن أين علمتِ بأمري؟

ردت بحزن قائلة: سمعت والدتي تتحدث عنك ذات يوم، ومن حديثهم علمت أنك صديق لهم، وحين وصلنا

الإنذار من البنك لم أجد حلًّا سوى اللجوء إليك وطلب العون منك.

كان الماستر رجلًا طويلًا نسبيًا، له شارب كث، وأنف مستدير أحمر يشبه أنف المهرج، وعينان حادتان يعلوهما حاجب كث، وكان ممتلئ الجسم، ويداه ضخمتان مثل قدميه، وشكله مريب. لجأت إليه رينا حين لم تجد أي حل أمامها سواه.

أخبرها في أول لقاء لهم أنه سيوفر لها كل ما تريده، لكن بالمقابل تصبح تلميذة لديه، وأحد تابعينه، وتخدم أهداف المؤسسة، وقال لها إنها ستصبح قوية لا تُقهر، وستقود كل المجموعة يومًا ما.

تعجبت رينا من كلامه وسألته: ما الذي يضمن لي قولك هذا؟ وكيف أعلم أنك صادق ولا تريد إلحاق الأذى بي؟!

أجابها بنبرة استهزاء قائلًا: اسمعي يا صغيرة، أنا "الماستر"، لا شيء يعجزني. إذا كنت أريد إيذاءك، لما كنت جالسة هنا أمامي الآن. أنا أعلم كل شيء عنك، ويمكنني أن أبرهن لك قولي هذا. اليوم عند الساعة الثامنة مساءً ستصلك هدية صغيرة مني، إذا أعجبتك دعينا نلتقي صباحًا في هذا العنوان.

وأعطاها ورقة صغيرة بها عنوان المقهى الذي يجلسون به الآن.

قال الماستر لرينا: دعينا نخرج من هنا، وآخذك إلى مقر المؤسسة بما أنك أصبحتِ واحدة منا الآن.

وقادها إلى المقر، الذي كان عبارة عن مبنى حجري ضخم يشبه القلاع في شكله.

فقالت رينا بنبرة ساخرة: والآن، هل سأكون سجينتك حتى يأتي الفارس المقنّع على حصانه الأبيض وينقذني منك بعد مواجهة نيران تنينك؟!

أجابها قائلًا: لا، لا، لست بحاجة إلى تمارين ضبط نفس قاسية، تكفيني ساعة واحدة فقط معك في اليوم.

اغتاظت رينا من قوله، ولكنها كظمت غيظها، وقالت له: حسنًا، ماذا الآن؟

قال لها: إذا لم تكوني على عجلة من أمرك، يمكنني أخذُكِ في جولة لترَي المكان.

تحمست رينا، وقالت له: ليس لديّ شيء، هيا بنا.

ظلت تتجول في القلعة قرابة الساعة، ورأت عدة مشاهد مثيرة، فكان هناك مجموعة تتدرب على التحكم بالحيوانات، وأخرى على تحريك الجمادات، وغيرها الكثير من المشاهد المثيرة.

تحمست رينا لتعلم الطلاسم وتفجير طاقتها، ولكن أخبرها الماستر أنها ستحتاج إلى تمارين جسدية قبل البدء في تعلم هذه الأشياء، وطلب منها ألا تخبر أحدًا أبدًا بشأن قدراتها، حتى ماري.

فتعجبت رينا، وقالت له: وكيف سأفسر لها أمر الكتاب والديون التي سُدّدت؟

قال لها: هذه مسألة سهلة، سأحلّها أنا.

وقام بإعطائها قنينة صغيرة تحتوي على سائل أحمر، وقال لها: ضعي القليل من هذا السائل على طعامها، وستنسى كل هذه الأشياء.

ترددت رينا في بادئ الأمر، ومن ثم امتثلت لأوامره حفاظًا على حياة ماري، لأن الماستر أخبرها أنهم سيجعلونها تنسى هذه الأشياء بطريقة لن تعجبها.

توالت الأيام، وأصبحت مهارة رينا في التنبؤ أفضل، وتعلمت كيف تحمي نفسها، بالإضافة إلى تعلمها كثيرًا من الطلاسم مثل طلسم الوقت، الذي يسمح لها بالتلاعب في الوقت بتقديمه أو تأخيره عدة دقائق، وطلسم الذاكرة، الذي يمكنها من محو وتغيير ذاكرة من تريد، وغيرها من الطلاسم والترابيق.

ومن جانب دراستها، فقد كانت تتقدم في فصولها دون أي تدنٍّ في علاماتها الدراسية، وكانت تواظب على مساعدة ماري في المقهى، وتقوم ببعض الأعمال المنزلية البسيطة، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أثار دهشة ماري، ولكنها بررت الأمر بأنها لم تعد صغيرة، ويجب عليها تقديم المساعدة.

بعد عدة أشهر، قررت رينا أن تمارس مهنة والدتها وتحسن من أوضاعهم المادية، فأخبرت أختها بالأمر، ولكن رينا لم تحسب حساب سؤال ماري، الذي فاجأها حين قالت لها:

ـ كيف ستستطيعين القيام بذلك؟

ثم شهقت وقالت لها:

. هل تنوين خداع الزبائن؟! تعلمين أن هذا أمر سيئ، وسيجلب لنا المشاكل.

ردت رينا بسرعة، قائلة: لا، لا، لا أنوي خداع أحد، ولكن أنتِ تعلمين أنني يمكنني التنبؤ، ولكنني لا أتقن المهارة جيدًا، فوالدتي لم تكن تحب ذلك. ولكن يمكنني أن أبحث عن كتاب يساعدني في تطوير مهارتي، أو يمكنني الاستعانة بأحد أصدقاء والدينا القدامى.

ردت ماري بتعجب، قائلة: أصدقاء قدامى؟!! عن أي أصدقاء تتحدثين يا رينا؟! نحن لم نرَ لهم أصدقاء أبدًا، ولا أي معارف... حتى عند موتهم، لم يكن يوجد أحد سوانا نحن والجيران وأصدقاؤنا... عن أي أصدقاء تتحدثين؟!

ردت رينا بضيق، قائلة: كان مجرد اقتراح، إذا لم يعجبك الأمر سأتركه، لكن أرجوكِ دعيني أحاول فقط.

زفرت ماري بضيق، وقالت بنبرة تحذيرية لها: ابحثي في الكتب فقط، ولكن لا تُهملي دروسك.

كانت ماري تخاف أن يقوم أحد بخداع رينا، لذا حذرتها من اللجوء لأحد. وكانت في كل مرة تراودها تساؤلات عن أقربائهم ومعارف والديهم، وكانت تتمنى لو تجد شخصًا يعاونهم، ولكن لم تعرف أبدًا السر في أنهم وحيدان هكذا.

بعد مرور عدة أيام على تلك المحادثة، دخلت ماري على رينا غرفتها دون أن تقوم بطرق الباب، فوجدت رينا تقرأ كتابًا شكله مريب، ومكتوب اسمه بحروف غريبة.

فسألتها بتعجب: أين وجدتِ هذا الكتاب؟

فردت رينا كاذبة: وجدته في مكتبة والدي، ومعنى هذه الكلمة "الطريق إلى الخفاء"، وهو سيساعدني كثيرًا في تحرير طاقتي.

نظرت ماري لرينا نظرة شك، وقالت لها: لقد قرأتُ كل الكتب التي في مكتبة والدي، ولكن لم يكن بينهم أبدًا كتاب مريب مثل هذا.

أجابت رينا بارتباك، قائلة: ربما لم تريه، لأنه كان مخفيًّا.

ردت ماري عليها، قائلة: إنك تكذبين، وأنا أعلم ذلك، وهناك ما تُخفينه، لكن قريبًا سأعلم ما هو هذا الشيء يا رينا.

وخرجت من الغرفة غاضبة.

أحست رينا بالخوف على ماري، فلو علمت بأمر القلعة وجماعة النوار التي تنتمي إليها، سيقومون بإيذائها، وهي لا تريد أن تتسبب بأي أذى لماري، فهي الشخص الوحيد المتبقي لها في هذه الحياة بعد فقدانها لأمها وأبيها.

بعد تلك الحادثة، اضطرت رينا لأن تُلقي تعويذة على أختها بعد أن أصبحت تُلح عليها وتطالب بمعرفة سر الكتاب لتُنسيها ما رأته.

(٧)

في أحد الأيام، أرسل الماستر في طلب رينا، وكان قد مضى عام منذ مقابلتهم الأولى، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يرسل في طلبها هي تحديدًا دون غيرها.

ذهبت رينا إلى المقهى الذي التقيا فيه أول مرة، ولكن هذه المرة لم تحتج إلى أن تطلب من شخص إبلاغه بحضورها، فقد كان في انتظارها، وكانت تبدو على ملامحه القلق، لكنها لم تجرؤ على سؤاله عن سبب قلقه، واكتفت بسؤاله عن سبب طلبه لمقابلتها.

تردد قليلًا في بادئ الأمر، ومن ثم قال لها:

ـ رينا، أنتِ فتاة ذكية، وتعلمين أنك ذات قدرات متميزة، فجميع من يملكون ملكة التنبؤ ليسوا بدقّتكِ ولا

بعمقكِ الزمني، إذ أنك الوحيدة التي تتقن جميع مهارات التحكم، ولا أحد يضاهيكِ في هذا سوى والدتكِ...

وصمت.

قالت رينا:

. حسنًا، ما المطلوب مني الآن؟!

أجابها قائلًا:

. أريد منك الذهاب إلى مدينة أخرى، وتدريب أشخاص جدد لصالح المنظمة.

أجابته رينا قائلة:

. أنت تعلم أنه لا يمكنني الانتقال إلى مكان آخر والتخلي عن أختي، ولا يمكنني إقناعها بالرحيل، بالإضافة

إلى دراستي، وأيضًا لا يمكنني ترك منزلنا والذهاب إلى مكان آخر.

ردّ عليها الماستر بغضب، قائلًا:

. اسمعي يا فتاة، أنا أتفهّم تعلقكِ بأختكِ ومنزلكِ وكل هذه الأشياء التافهة، ولكنكِ أقسمتِ على خدمة هذه المؤسسة، لذا إذا اقتضى الأمر ذهابكِ إلى أي مكان، يجب عليكِ الطاعة!

ردّت رينا بغيظ، قائلة:

. أنا لست مملوكة لك، ولا يمكنك التحكم بحياتي كما تريد. سأقوم بأي مهمة تطلبها مني داخل هذه المدينة أو ما جاورها.

ردّ عليها الماستر بغضب، قائلًا:

. أنت عنيدة جدًا مثل والدتكِ. لو أنها نفّذت ما طُلب منها وأدّت مهمتها، لكانت الآن بينكم، ولما تسببت في مقتل زوجها أيضًا!

صُعقت رينا من الكلام الذي قاله، فسألته:

. ماذا تعني بهذا الكلام؟! هل أنتم من تسبب بمقتل أمي وأبي؟!

أجابها الماستر بارتباك:

. لا، لا، لم أقصد ذلك، ولكن حين كنت أخبرها بأن تستخدم بعض التعاويذ للحماية، كانت ترفض، وتخبرني أن لكل تعويذة ثمن، وتتفوه بالهراء...

صرخت رينا مقاطعةً له:

. لا، أنت تكذب! لقد قمتم بقتل والديّ لأن أمي لم تمتثل لأوامرك! رفضت أن تُعاونك في تحقيق خططك الشريرة! لا تتوقع مني أن أتعاون مع قاتل والديّ!

ردّ عليها بغضب، قائلًا:

. لا تغتري بنفسكِ كثيرًا، فأنتِ لا تمثلين لي أي تهديد. بإمكاني سحقك كالذبابة. تمرّدكِ هذا سيضرك وحدك، ولا تنسي أنكِ مدينة لي بالكثير.

نظرت رينا للماستر بغضب، وحملت حقيبتها وخرجت.

وفي أثناء خروجها، صاح بعلو صوته، قائلًا لها:

. سأعطيكِ مهلة لترضخي لأوامري، دون أن تضطريني لاستعمال أساليب أخرى.

(٨)

في أحد الأيام، عادت رينا للمنزل ولم تجد ماري بالمنزل، فتوجّهت لغرفتها وظلّت تبكي وترتجف خوفًا. وبعد مدة زمنية ليست بالقصيرة، عادت ماري للمنزل ووجدت رينا على تلك الحالة، ففزعت بشدة وسألتها عن سبب بكائها، ولكن رينا امتنعت عن الكلام، فحاولت ماري تهدئتها وتطمينها. بعد ذلك، ألحّت عليها لتخبرها عن سبب بكائها، فردّت رينا قائلة:

ـ لستُ في وضع يسمح لي بالكلام، أرجوكِ دعيني وشأني.

لكن ماري زادت إصرارًا، فانفجرت رينا قائلة:

ـ لقد قتلا أمي وأبي، لم يكن حادثًا كما قيل لنا!

صُعقت ماري من كلام رينا، واتهمتها بالجنون، ولكن رينا سردت لها كل ما حدث منذ لجوئها للماستر، وعن أمر الكتاب والقلعة وتمارينها وكل شيء، وأخبرتها بأنها قامت بمحو ذاكرتها حتى لا تتعرض للخطر. ولكن ماري لم تستطع قول أي شيء، وظلّت صامتة تحدّق فيها بذهول.

فأردفت رينا قائلة:

. الماستر لن يتركنا وشأننا، سيسعى خلفنا ويقتلنا مثلما قتل والدينا، يجب علينا الهروب قبل أن يصيبنا بأذى.

لكن ماري ردّت قائلة:

. أنا أعلم أن موت والدينا وكل الظروف التي مرّت علينا أحزنتكِ كثيرًا وسبّبت لكِ ضغطًا نفسيًا كبيرًا، ولها

تأثير قوي عليكِ، لذا أعتقد أنه أصبح يجب عليكِ مقابلة طبيب.

صرخت رينا قائلة:

ـ ماري، أنتِ لا تعلمين مدى خطورة هؤلاء الناس! أرجوكِ صدقيني!

وأجهشت بالبكاء، ولكن ماري عنّفتها وقالت:

ـ رينا، عودي لوعيكِ، ولا تتحدثي بكلام لا يُصدّق

لكن رينا أخرجت من درجها كتاب الطريق إلى الخفاء، وقالت لها:

ـ انظري، هذا كتاب لتعليم فنون السحر الأسود، وهو من أخطر الكتب، ولا يمكن الحصول عليه بسهولة لأنه لا يُباع بالمكتبات. من أين تظنين أنني حصلت عليه؟

لو أن والدي حقًا كان يحتفظ بمثل هذا الكتاب في مكتبته، لما سعوا خلفنا من أجل الحصول عليه!

ردّت ماري قائلة:

. ربما لم يعلم أحد أنه هنا.

أجابتها رينا بلهجة ساخرة:

. هل يخفى شيء عن مسترقي السمع؟! ماري، أرجوكِ صدقيني، ودعينا نهرب بعيدًا.

ردّت ماري على رينا بلهجة حادّة، قائلة:

. يجب عليكِ مقابلة الطبيب

وخرجت من الغرفة، وتركت رينا تبكي.

توالت بعدها الأيام، وكانت كل واحدة منهما تحاول إقناع الأخرى برأيها، وكانتا تتشاجران دائمًا، ولكن في آخر الأمر، رضخت رينا لرغبة أختها، وقالت لها:

ـ إذا أكّد لكِ الطبيب سلامة عقلي، سنهرب مباشرة ونترك هذه المدينة المريبة.

سُرّت ماري كثيرًا بقرار رينا، وقالت لها:

ـ حسنًا، كما تريدين، فقط دعينا نطمئن عليكِ أولًا.

لم يسأل الماستر رينا مرة أخرى، وكانت تشك في أنه يدبّر لها مكيدة، فهو يعلم كل شيء، لذا رضخت لرغبة أختها ظنًا منها أن الطبيب سيخبر أختها أنها بخير ولا تشكو من أي علة، وبعدها سيتمكنّ من الرحيل. ولكن المفاجأة كانت حين طلب منها الطبيب أشعة مقطعية لرأسها، ووجدوا ورمًا في الرأس.

كانت رينا تعلم أن كل هذه الأشياء رسائل خفية من الماستر كي ترضخ لأمره، وكانت تعلم أنه بمقدوره التلاعب بعقول الآخرين عن طريق عفاريته الصغار. لذا حاولت أن تراوغه مثله، وطلبت من أختها الذهاب إلى مدينة أخرى حتى تتلقى العلاج، ولكن ماري أجابتها بحدّة، قائلة:

. رينا، هل تمزحين؟! إن مدينتنا هي أفضل مكان يمكنكِ تلقي علاجكِ به، ولدينا أمهر المعالجين، والجميع يقصدها للعلاج. لن نذهب إلى أي مكان قبل أن يتم علاجكِ.

أجهشت رينا بالبكاء، وقالت بصوت متحشرج:

. ماري، لقد أخبرك الطبيب أن حالتي خطِرة. أرجوكِ، حققي لي أمنيتي، ودعينا نخرج من هنا، ونجوب

العالم سويًا. لدينا ما يكفي من المال، وإذا قمنا ببيع المنزل والمقهى، سنتمكن من تأسيس حياة كريمة بعيدًا عن هذه المدينة ومُختليها.

لكن ماري نظرت لرينا بحزن، ولم تُحب عليها، وخرجت من المنزل.

بعد خروج ماري من المنزل، بدأت رينا تحزم أغراضهما، وقررت أن تُلقي على أختها تعويذة كي يرحلوا.

وفي أثناء انتظارها لماري، سقط ظرف بنفس الطريقة التي سقط بها ذلك الكتاب المريب.

رعبت رينا بشدة عندما وجدت المظروف، وعلمت أنها رسالة تحذيرية من الماستر.

ففتحت المظروف بأيدٍ مرتعشة، ووجدت بداخله رسالة مكتوبة كلماتها بالدم ،ووجدت داخل المظروف، مع الرسالة، قلادة ذات نقوش غريبة، وداخلها صورة صغيرة لها هي وأختها.

ونظرًا لمعرفتها بالسحر الأسود والأشياء المريبة، علمت مباشرةً أن هذه القلادة كانت السبب في جعل أختها تتوجّه إليهم مباشرة من دون وعي منها.

وعلمت أن هذا الدم كان دم أختها.

بدأت تبكي وتصرخ بصورة جنونية، حتى اجتمع الناس في منزلهم وحاولوا تهدئتها، ولكنها لم تتوقف عن البكاء والصراخ حتى فقدت وعيها، فقاموا بإسعافها وجعلوها تنام بحقنة مهدئة.

لكن غياب ماري، وعدم استجابتها للمكالمات، أثار تعجب الجميع ودهشتهم، ولم يتمكن أي شخص من معرفة سبب بكاء رينا وصراخها بهذه الطريقة.

وحين استيقظت، طلبت من الجميع الذهاب، وأخبرتهم أنها بخير وبحاجة للهدوء والراحة فقط.

بعد ذهاب الجميع، شعرت رينا بغضب وحزن شديد لفقدها أختها، ولكنها أقسمت ألا تبكي مجددًا حتى تأخذ بثأرهم جميعًا منه، وقررت البحث عن جثة أختها ودفنها بصورة تليق بها بالقرب من قبر والديها، ومن ثم مغادرة المدينة.

لم تتمكن رينا من إخبار أي شخص بما حدث، وقررت الرحيل ليلًا من فيرن، والاتجاه جنوبًا، حيث توجد

مدينة تعجّ بالسحرة والساحرات، وستجد هناك طريقها لتفجير كامل طاقتها.

ولكنها كانت تعلم أن الماستر يراقبها، ولن يدعها تخرج بكل يُسر، لذا لم يكن أمامها خيار آخر سوى الخروج بخفاء، واستعمال بعض التعاويذ.

(٩)

عاد زين إلى المشفى كي يتفقد حالة دينا، ويخبرها بما حدث لهم مع فودو، ويسألها عن جماعة النوّارين وأمر القلادة، وما إذا كانت سمعت عنهم.

لكن قبل كل ذلك، كان يجب عليه إخراجها من المشفى والعودة إلى المنزل، فلقد تأكد من أنها ليست مصابة بالذهان، ولا تتوهم.

في طريق العودة إلى البيت، سألت دينا زين باستهجان، قائلة:

– "ماذا حدث؟ لقد تركتني، وأنت تؤمن تمامًا بأنني بحاجة إلى مصح عقلي، ولكنك عدت وأخبرتني بأنك تصدقني! لم أعد أفهمك..."

أجابها زين بهدوء:

– "دعينا نصل إلى المنزل وننال قسطًا من الراحة، وبعدها سأخبرك بكل شيء."

لم يستطع أيٌّ منهما النوم في تلك الليلة. كانت دينا خائفة مما حدث في آخر ليلة، لذا لم تستطع النوم، أما زين فكان يفكر في أمر جماعة النوّارين التي تلاحقهم وتسعى خلف دينا.

لم يعلم أيٌّ منهما متى أشرقت الشمس، ولكنهما كانا ممتنين لذلك.

بدأ زين يثرد على دينا كل ما حدث منذ خروجه منها، ولكن دينا تفاجأت حين أخبرها بما قاله فودو عن قدراتها، وأن النوّارين يسعون خلفهم من أجل طاقتها،

وأخبرها أنهم سيذهبون له في المساء حتى يجد لهم حلًّا لأمر القلادة.

لم تستطع دينا إنكار أمر طاقتها هذا، لأنها دائمًا ما كانت تشعر أنها ليست طبيعية، وأنها مراقبة، ولكن لم تشأ أن تخبر زين بذلك حتى لا تصيبه بالفزع، ففضّلت الصمت.

أردف زين قائلًا:

– "بعد مقابلة فودو، ومعرفتنا بأمر هذه القلادة، سنعود أدراجنا إلى الجنوب... أعتقد أنك ستكونين بأمان أكثر هناك."

ثم تمتم قائلًا:

– "وأعتقد أن والدي سيعفو عنا بعد كل هذه السنوات، ففي آخر المطاف، نحن أبناؤه."

أجابته دينا بغضب، قائلة:

– ‘‘أنا لا أسامحه، ولن أعود له أبدًا. لن أعود كي أعيش وسط أشخاص يمقتونني، وينظرون لي طوال الوقت باشمئزاز، ويشعرون بالقلق مني.’’

رد عليها زين باقتضاب، قائلًا:

– ‘‘لا تجادليني كثيرًا يا دينا.’’

وخرج من الغرفة وتركها وحدها.

غضبت دينا كثيرًا بسبب قراره هذا، ولكن لم يكن أمام زين خيار آخر، إذ أن هذه المدينة لم تعد آمنة، ولا يمكنه حمايتها إلا بهذه الطريقة.

في المساء، سمعوا طرقات خفيفة على الباب، ظن زين أنه سليم جاء لاصطحابه إلى فودو، ولكنه فوجئ بوجود فتاة ملثمة، مرتبكة، تنظر حولها بخوف.

فارتاب منها زين، وظن أنها من الجماعة التي تلاحقهم، فتردد في استقبالها، ومن ثم سألها قائلًا:

– ‘‘ماذا تريدين؟ ومن أنتِ؟’’

فأجابته رينا بصوت راجف:

– ‘‘هل يمكنكم استقبالي لمدة ليلة واحدة يا سيدي؟! أرجوك، دعني أدخل، فالبرد قارص بالخارج.’’

تعجب زين من أمر الفتاة، وكرّر عليها سؤاله مرة أخرى:

– ‘‘من أنتِ؟ وماذا تريدين منا؟’’

أجابته قائلة:

– ‘‘لقد قُتلت كل عائلتي، وأنا أريد الخروج من المدينة صباحًا، لكنني بحاجة إلى مكان أحتَمي فيه الليلة.

أرجوك، دعني أقضي ليلتي هنا، ولن أتسبب لكم بأي مشاكل.”

تعجب زين من أمر الفتاة، ولكن شيئًا ما فيها جعله يتذكر دينا، وكيف قام والده بطردها من المنزل، ولو أنه لم يكن في البلاد، لكانت ستتعرض لنفس الموقف.

فوافق على إدخالها، وأخبر دينا.

شعرت دينا بنفس شعور أخيها تجاه رينا، لذا أشفقت عليها، وكان حضور رينا في ذلك الوقت بمثابة الترياق لدينا، إذ أنها كانت تشعر بالوحدة والحزن، ووجدت من يؤنسها.

قامت دينا بإحضار غطاء لرينا، وحضّرت لها كوبًا من الشاي، وجلست بجوارها وسألتها:

– “ما اسمك؟”

فأجابتها قائلة:

– ‘‘أدعى رينا، وأبلغ من العمر عشرين عامًا.’’

ضحكت دينا وقالت:

– ‘‘أعتقد أننا سنكون توأمًا! أنا اسمي دينا، وأيضًا لديّ عشرون عامًا.’’

ثم تنهدت وقالت:

– ‘‘أعتقد أننا لا نتشارك الأحرف والعمر فقط، بل الوحدة أيضًا.’’

ردت رينا بتعجب:

– ‘‘هل أنتِ أيضًا فقدتِ عائلتك؟’’

أجابتها دينا قائلة:

– ‘‘لا، بل تخلت عني عائلتي، ولم يبقَ لي أحد سوى أخي زين.’’

أجابت رينا والدموع تملأ عينيها:

– "أنا أيضًا لم أكن أملك سوى ماري، ولكن فقدتها بسبب غبائي."

لم تفهم دينا شيئًا من حديث رينا، ولكنها قامت بتهدئتها، وحاولت حثها على الحديث.

فبدأت رينا تقصّ عليها ما قاسته، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تبوح فيها رينا لأحد بما يشغلها.

بعد أن أنهت قصتها، ردت عليها دينا قائلة:

– "نحن أيضًا ملاحقون من قبل هذه الجماعة، وأعتقد أنني أملك موهبة مشابهة لموهبتك، ولكن لم يتم تحرير طاقتي بعد."

وثردت عليها الأحداث التي مرت بها، وأخذت من زين القلادة وأرتها لرينا.

صُعقت رينا عند رؤيتها للقلادة، وأخبرت دينا أن هذه القلادة هي ذاتها التي قُتلت بها أختها.

تساءلت دينا قائلة:

– ‘‘إذا كان ما تقولينه صحيحًا، فلماذا لم يُصب زين بما أصاب أختك؟’’

تعجبت رينا قليلًا، ثم أخرجت قلادتها وأرتها لدينا، لقد كانت القلادتان متطابقتين تمامًا.

قالت رينا:

– ‘‘أعتقد أنهم لم يُكملوا المراسم بعد.’’

أجابتها دينا بتعجب:

– ‘‘ما هي المراسم التي تتحدثين عنها هذه؟’’

أجابتها رينا قائلة:

– ‘‘هذه القلادة مفتاحها الدماء. يريق الشخص الذي يريد السيطرة عليكم بعضًا من دمه على هذه النقوش، ومن ثم ينطق بطلاسم معينة، وبعد ذلك سيتمكن من جعلكما دمى له، ويفعل بكما ما يريد.’’

ردت دينا قائلة:

– ‘‘ولماذا لم يتمكنوا من التحكم بك، وهم من الأساس يريدونك أنت؟!’’

أجابتها قائلة:

– ‘‘لقد حصّنت نفسي بتعويذة قوية جدًا، علمتني إياها والدتي قبل أن تموت. أعتقد أنها كانت تعلم أنني سأواجه الماستر.’’

ثم تنهدت وقالت:

– ‘‘لكنها لم تحسب حساب أن يلحقوا الأذى بماري، ويقوموا بقتلها.’’

بعد ذلك، امتنعت رينا عن الكلام، كما أن الصدمة أسكتت دينا أيضًا، ولم تجد ما تقوله.

ومن ثم، كسرت رينا حاجز الصمت هذا، وقالت لدينا:

– ‘‘أعتقد أنك بحاجة لهذا الكتاب أكثر مني. سيفيدك في حماية نفسك، وإذا أردتما أن تسلما، اخرجا بأسرع ما يمكنكما. من أضاع هذه القلادة، سيسعى لإيجادها بكل الطرق الممكنة، ولن يصعب عليه إيجادكما، فهم لديهم طرقهم الخاصة.’’

أجابتها دينا:

– "حسنًا، سأخبر زين وسنبدأ في حزم أمتعتنا... يمكنك مرافقتنا إذا أردتِ ذلك."

أخبرت دينا زين بكل ما دار بينها وبين رينا، وأرته الكتاب الذي أعطته لها رينا، وأخبرته بموافقتها على الذهاب إلى الجنوب.

(١٠)

في صباح اليوم التالي، حزم الجميع أمتعته وهمّوا بالخروج، ولكنهم فوجئوا بوجود فودو وسليم على الباب.

وقد كان زين نسي أمر الذهاب إليه في الليلة الماضية بسبب مجيء رينا، والأشياء التي أخبرتهم بها.

حين رأت رينا فودو، أُصيبت بالرعب، ولكنها أخفت خوفها وجمعت شتات نفسها وصاحت في وجهه قائلة:

— "ماذا تريد مني بعد ذلك؟ لقد قتلت كل عائلتي، وجعلتني أدفع الثمن غاليًا. دعني وشأني، سأترك لك هذه المدينة أيضًا، ولن ترى وجهي مرة أخرى!"

ضحك فودو بشدة، ثم أجابها قائلًا:

– ‘‘مهلًا يا صغيرة، أنا لست هنا من أجلك، بل من أجل توأمك كما تقولين.’’

وضحك بسخرية.

ردّت رينا بعنف، قائلة:

– ‘‘دعهم وشأنهم! هم لا دخل لهم في كل هذا، أنا من رفضت معاونتك!’’

أردف فودو قائلًا ببرود:

– ‘‘أنا لا أُكترث لأمرك الآن، ولكن يهمني أمر هذه الصغيرة، فلديها طاقة أعلى من طاقتك. وإذا تمكنت من تحريرها وتسخيرها في خدمتي، سأحصل على كل الكنوز المدفونة التي لم يستطع أحد الوصول إليها.’’

صُعق زين عند سماعه هذا الكلام، ونظر إلى سليم نظرة حزن وخيبة، وقال له:

– ‘‘لقد وثقت بك يا سليم! لماذا فعلت هذا بي؟! هل كانت هذه خطتك من البداية؟ هل كنت تعلم أنه يسعى خلفنا وأخذتني له؟!’’

رد سليم قائلًا:

– ‘‘أنا آسف، ولكن لا يمكنني عصيان أوامر أسبادي، فكما ترى... من لا ينفذ الأوامر يخسر أغلى ما يملك.’’

ونظر لرينا نظرة اشمئزاز، ثم أشاح بنظره عنها، وعاد ينظر لزين، الذي قال بتلعثم:

– ‘‘ل... لقد كنت أعتبرك أخًا لي... كنت أظن أنك تحب دينا حقًا، وكنت سعيدًا بذلك. لقد ائتمنتك على نفسي وأسراري، ولكن ماذا فعلت أنت في المقابل؟ قمت ببيعنا لهذا الدجال المنافق!’’

قاطع سليم كلام زين بغضب، قائلًا:

– "هذا خطؤك! لم أطلب منك الوثوق بي، ولم أطلب من دينا أن تحبني أو تمنحني أي شيء، فلا تمنن عليّ بما قدمته لي، ولا تتوقع مني أن أُضحي بنفسي من أجلك!

لكن يجب عليك أن تشعر بالامتنان تجاهي، فبفضلي لم يقم فودو بقتلك البارحة!"

صاح فودو بصوت عالٍ، منهيًا الجدال الذي دار بين زين وسليم، وقال:

– "إنه وقت الاحتفال! لقد عثرت على جوهرتين دون أدنى مجهود. يمكنك الذهاب الآن يا سليم، وسأُكمل المهمة من هنا."

أدار سليم ظهره لدينا وزين، ولم يلتفت إليهم، أو يُعطِ أي أهمية لما قدموه له، ولا لحب دينا له.

... يتبع

رحلتان واسرار لا يجب ان تُكشف بين غموض يطارد زين بعد حادثة شقيقته ، وسحر قديم يوقظ ماضي رينا وماري في مدينة "فيرن" ، تُنسج خيوط رواية تمزج بين الواقع و اللامرئي